الأدب الإسلامي في ميزان النقد الأدبي

A presentation entitled: Islamic Literature in the Scales of Literary Criticism

مكناسي صفية*

جامعة أمحمد بوقرة بومرداس الجزائر

s.meknassi@univ-boumerdes.dz

تاريخ الارسال:2024/04/06	تاريخ التقييم:2024/07/02	تاريخ القبول:2024/07/06

الملخص:

عرف الشعر الجاهلي درجة رفيعة من الأداء البلاغي ، و قمة سامقة من الفصاحة ، فكان دستور العرب و منهج حياتهم ، و لما جاء النّص القرآني متحديا العرب في أخص خصائصهم، و أعزّ ما كانوا يتقنون و يتفننون،حتى قال قائل منهم :إنّ له لحلاوة و إن عليه لطلاوة، و إنّه يعلوا و لا يعلى عليه ،فمع نزول القرآن الكريم و التفاف العرب حول الدعوة و الانشغال بالوافد الجديد من طرف الكثير من أرباب البيان و فرسان البلاغة في الشعر، خفت صوت الشعر حتى قيل عن حسان بن ثابت إنّه كان من الفحول و لما دخل شعره باب الخير لان.

انطلاقا من هذا الطرح كيف تجلت ملامح الأدب الإسلامي في ميزان النقد الأدبي الذي يعترف بالأدبيّة الفنيّة بعيدا عن الموضوعات و تصنيفاتها.و هل الأدب الإسلامي كان في مستوى الأداء الفني الذي عرف عند البلغاء و الشعراء؟ثم ما المعيار الذي يحتكم إليه النقد في الحكم على الأدب الإسلامي؟وهل يشفع للنّص الذي يحمل مبادئ الإسلام من خير و أخلاق في الموضوع الذي يطرحه؟أم أن النّص الإسلامي يحاكم بمعيار الأدبية كغيره من النصوص الفنية و الجمالية؟ ولا يحاكم بمعيار الموضوع المطروق؟ثمماهو الأدب الإسلامي أهو النّص الذي يسترفد من النّص المقدس؟أم هو النّص الذي يحمل أدبيات النّص المقدس؟

الكلمات المفتاحية:الأدب ;الإسلام ;المنهج ;النقد ;التحليل.

Abstract:

Pre-Islamic poetry knew a high degree of rhetorical performance and a sublime pinnacle of eloquence. It was the constitution of the Arabs and their way of life, until the arrival of the Qur'anic text camechallenging the Arabs in their most specific characteristics, and the most cherished of their mastery and artistry, till one of them said:"it has sweetness and beauty, and it is exalted and not surpassed". Evenif With the revelation of the Noble Qur'an and the Arabs' mobilization around the call and the preoccupation with the newcomer on the part of many of the masters of eloquence and knights of eloquence in poetry, the voice of poetry faded until it was said about Hassan bin Thabit that He was one of the stallions, and when he entered the door of goodness, it became softer.

Based on this proposition, we ask the following questions, how did the features of Islamic literature appear in the scale of literary criticism, which recognizes artistic literature apart from the topics and its classifications? Was Islamic literature at the level of artistic performance known to rhetoricians and poets? Then what is the criterion that criticism resorts to in judging literature? Does the text that carries the principles of Islam intercede for the goodness and morality of the subject it presents? Or is the Islamic text judged by the standard of literary like other artistic and aesthetic texts? And it is not judged by the standard of the topic at hand? Then what is Islamic literature? Is it the text that benefits from the sacred text? Or is it the text that carries the literature of the sacred text?

Keywords: literature, Islam, method, criticism annalyse

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة:

الأدب الإسلامي هو ذاك النتاج الشعري و النثري الذي قيل في صدر الإسلام ،وهو أيضا الأدب الذي يحمل تعاليم الإسلام و أخلاقه ،وقد كان هذا اللون الأدبي خاصة الشعري منه دون بلاغة الشعر الجاهلي الذي يحتفي بالقبلية و النزعة الذاتية التي جعل منها شعرية تفوق شعرية الأدب الأخلاقي ،الذي اعتنى بالمضمون الخيري أكثر من البعد الفني،في حين حوكم هذا اللون الجديد بمعايير النص الشعري الجاهلي الذي كانت له سمته الخاصة به،فقالوا عن حسان أنه كان من الشعراء الفحول في الجاهلية و لما دخل شعره باب الخير لان ،انطلاقا من هذه الموازنة غير الموضوعية يحاول هذا البحث الغوص في مضامين المنهج الإسلامي في النقد الأدبي من خلال الإشكالات الآتية:

ما هي المعايير المعتمدة في المنهج الإسلامي في الحكم على النصوص الأدبية؟و هل النص الديني يحاكم بذات المعايير ؟وهل استطاع المنهج الإسلامي الخروج بسلام من قضية النص المقدس و باقي النصوص الأدبية؟وهل يمكننا الموازنة بين النقد الأدبي و المنهج الإسلامي في النقد الأدبي؟

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على خصائص و سمات المنهج الإسلامي في النقد الأدبي سلبياته و ايجابياته،كما تقف على التواصل و التشاكل بين النقد الأدبي الذي يعترف بأدبية النصوص بعيدا عن مضامينها و موضوعاتها ،و بين المنهج الإسلامي الذي يحاكم النص وفق مرجعيته الدينية و العقائدية.

2-مفهوم الأدب الإسلامي:

الأدب هو ذاك التّعبير الفني عن مختلجات النّفس ،و دوافنها سواء أكان شعرا أم نثرا،أمّا الأدب الإسلامي فهو ذات التعبير لكنه مرتبط بحدث ما أو مبادئ خاصة،حيث الأدب الإسلامي في مفهومه العام ارتبط بمجيء الإسلام،كما ارتبط بكاتب هذا الأدب و علاقته بالإسلام، و تبنيه لمبادئ إسلاميّة محضة،وإذا تتبعنا مفهوم الأدب الإسلامي انطلاقا من الكاتب نجد أنّ هذا المفهوم كان متعارفا عليه في الكتب النّقديّة القديمة من خلال تصنيف الشعراء بحسب الفترة الزمنية التي عاشوا فيها ،إلى شعراء جاهليين و آخرون إسلاميين،حيث نجد ابن سلام

الجمحي في"طبقات فحول الشعراء"يقسم الشعراء إلى طبقات،منها طبقة الشعراء الجاهليين و طبقة الشعراء الإسلاميين[1]،كما نجد أيضا ابن قتيبة في "الشعر و الشعراء"يستخدم هذا المفهوم في وصف الشعراء و تصنيفهم إلى جاهليين و إسلاميين[2].

كما ارتبط مفهوم الأدب الإسلامي بالفترة الزمنية التي كتب فيها و هي فترة صدر الإسلام،حيث وصفوا الأدب الذي صادف هذه الفترة الزمنية بالأدب الإسلامي خصوصا الشعر منه،وهنا تصادفنا إشكالية الأدب الإسلامي، هل كل ما كتب في هذه الفترة يعد أدبا إسلاميا؟ و إذا كانت الإجابة بالنفي ما هو معيار الأدب الإسلامي؟ أهو الأدب الذي يكتبه المسلم أم هو الأدب الذي يحمل تعاليم الإسلام و مبادئه؟

في بحث مطول حول مفهوم الأدب الإسلامي جمع محمد بن حسن الزير[3] جملة من المفاهيم المختلفة المصدر حول مصطلح الأدب الإسلامي،منها ما ارتبط بمضمون الأدب في حدّ ذاته، و منها ما ارتبط بالفترة الزمنية التي قيل فيها، و منها ما ارتبط بالقائل ذاته،حيث يقول:

-أطلق مصطلح الأدب الإسلامي و أريد به الأدب الصادر عن الشخص المسلم،بصرف النظر عن طبيعة هذا الأدب، و مضمونه في ذاته سواء أكان أدبا إسلامي المحتوى في ذاته أم غير إسلامي.

-وأطلق مصطلح الأدب الإسلامي و أريد به كل أدب فيه ذكر للإسلام، أو حديث عن الإسلام.

-وأطلق و أريد به الأدب الذي يتناول مفهوما من مفاهيم الإسلام.

-وأطلق و أريد به الأدب أو الشعر الذي جاء بعد الإسلام، أي ظهر عقب نهاية وقت الجاهلية التاريخية، و نشأ في ظل البيئة الإسلامية ابتداء من البعثة النبوية ،و هو إطلاق نجده عند بعض مؤرخي الأدب العربي و دارسيه ، و هو مصطلح كما هو واضح ينطلق من مفهوم الزمن الذي أنتج فيه هذا الأدب، بصرف النظر عن محتواه من ناحية،أو عن قائله من ناحية أخرى[4].

من الدّراسات التي حددت مفهوم الأدب الإسلامي انطلاقا من البعد الزمني نجد"الموجز في الأدب العربي و تاريخه" إعداد مجموعة من الباحثين العرب،في قولهم"ونعني بالشّعر الإسلامي جميع الشّعر الذي نظم في عهد الرسول عليه الصلاة و السلام، و الخلفاء الراشدين ، ثم في عهد خلفاء بني أمية ، و قد نظم بعضه في سبيل الدعوة الإسلامية ، و تأثر البعض بتلك الدعوة نفسها، أو اصطبغ ببعض تعاليمها، و لا شك أن هناك فئة من الشعراء تصرفوا تصرفا خاطئا في حياتهم و شعورهم، و خالفوا بذلك ما دعا إليه الإسلام ، و قد أدرجنا

شعرهم في هذا الباب من باب التوسع"[5]حيث يريدون بمصطلح الأدب الإسلامي كل الأدب الذي كتب في الحقبة الزمنية التي واكبت البعثة النبوية و ما بعدها،حيث حددوا بداية الفترة الزمنية و هي مجيء الإسلام و لم يحددوا نهاية هذه الفترة،من جهة،ومن جهة ثانية لم يحددوا مضمون هذا الأدب ولا مصدره بل تركوا هذا المصطلح عاما و فضفاضا.

إنّ استعمال مصطلح الأدب الإسلامي من المنظور التاريخي من أكثر المفاهيم شيوعا من جهة، و من جهة أخرى أكثرها عدم استقامة مع النسبية للتسمية وهي (الإسلام) لأن الأدب بعد ظهور الإسلام ليس إسلاميا كله،ففيه آثارا أدبية تخالف مخالفة صريحة منهج الإسلام و قيمه و تصوره.[6]،ومع هذا لم نجد فيصلا واضحا يحدد طبيعة الأدب الإسلامي عن غيره من النصوص التي قيلت في فترة صدر الإسلام. أو بعده.

أمّا التحديد النقدي الخاص بمصطلح الأدب الإسلامي كان مع السيد قطب و من بعده محمد قطب من خلال ربط هذا المصطلح بالتسميّة التي يحملها،حيث أريد بهذا المصطلح "الأدب الذي يتناول مفهوما من مفاهيم الإسلام"[7]بحيث حين نطلق تعبير الأدب الإسلامي يجب أن تنصرف دلالته إلى النشاط الأدبي الملتزم بالإسلام في تصوره عن الله و الإنسان و الكون و الحياة ،وليس فحسب المدلول الذي يعني الأدب الصادر عن المسلم أو الأدب الصادر في عصر إسلامي، أو الأدب الذي يتحدث عن الإسلام ،أو يتناول مفهوما من مفاهيمه [8]،فالأدب الإسلامي من هذا المنظور هو الأدب الذي يصدر عن التصورات المعرفية اليقينية عن الله الخالق و الكون و الإنسان و الحياة، فهو الأدب الملتزم بقيم و تعاليم الدين الإسلامي من خلال المعالم الكبرى لهذا النشاط الفكري و التصور الفلسفي.

3. -موقف الإسلام من الشعر:

كان الشّعر الجاهلي يحتكم إلى قوة الأداء و تسيطر عليه القبليّة التي شكلت معالم الجماليّة و الشّعرية فيه بعيدا عن الأخلاق و القيم ،ولما نزل القرآن الكريم و جاء ليعيد بعث مكارم الأخلاق،وقف الشعراء عند هذه الدعوة موقف المتأمل لهذا الوافد الجديد الذي جاء بلغتهم و كلامه من جنس كلامهم ،ولكنه يتفوق على بلاغة نصوصهم الشّعريّة ،بما يحمله من أخبار غيبية و ما يحوزه من نظم،"فقد ظل الشّعر على عهد الرسول عليه الصلاة و السلام جاهليّا،

و خضعت قريش و سائر العرب للدين الجديد،فخرست الألسنة اللاذعة ، و فر الشعر الجاهلي ثانية إلى البادية ،و انصرف المسلمون إلى حفظ القرآن و رواية الحديث و جهاد الشرك فخفت صوت الشعر لقلة الدواعي إليه"[9]

حيث في صدر الإسلام انتفت دواعي القول الشّعري الجاهلي، وأصبح الالتفاف حول الدين الجديد و الدعوة إلى تحرير الذائقة الأدبية من القبليّة المقيتة ،فكانت هذه المرحلة الفيصل بين عصرين مختلفين في الاحتفاء بالشّاعر،عصر الجاهليّة الذي يتغنى بالشّاعر و يحظى بالقبول و السيادة فيها ،و عصر صدر الإسلام الذي لم يعد فيه"الشّعر هو المتسيد على الساحة ،و لم يعد محمودا على إطلاقه، و ذلك لما يوصف به الشعراء ولا سيما في ظل القيم الجديدة من السفه و الكذب و البهتان و المبالغات" [10]

حيث كانت السيادة في العصر الجاهلي للشاعر ،و الأولوية لكلمته بغض النظر عما تحمله من معاني سيئة أو نبيلة وكان الاحتفاء بالشعراء متميزا ،وكانت العرب تقيم المآدب إذا بزغ لها شاعرا مفوها ،لكن لما "جاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب و تشاغلوا بالجهاد و غزو فارس و الروم،و لهت عن الشعر و روايته، لما كثر الإسلام و جاءت الفتوح و اطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، و ألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت و القتل فحفظوا أقل ذلك و ذهب عليهم منه كثير"[11]حيث الشعر كان محفوظا في صدور الرجال ومع الحروب ضاع أكثره بضياع الرجال،بالإضافة إلى الوافد الجديد و هو النص القرآني المتميز ببلاغته الذي شغل البلاغيين في مكمن سر إعجازه .

يقارن ابن خلدون بين حال ازدهار الشعر في العصر الجاهلي و فتوره في و عصر صدر الإسلام ، و يرجع ذلك إلى "انصراف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين و النبوة و الوحي ، و ما أدهشهم من أسلوب القرآن و نظمه، فأخرسوا عن ذلك و سكتوا عن الخوض في النظم و النثر زمانا، ثم استقر ذلك، و أونس الرشد من الملة ، و لم ينزل الوحي في تحريم الشعر و حظره، و سمعه النبي صلى الله عليه و سلم و أثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه" [12]حيث النص القرآني شغل البلغاء عن الشعر و نظمه، و البحث في سر تفرده.

من الآراء النقدية أيضا التي تدعم فكرة فتور الشّعر في صدر الإسلام و ضعفه ،مقارنة بحال ازدهاره في العصر الجاهلي ما ذهب إليه الأصمعي في حديثه عن معيار الفحولة ،عن الشاعر حسان ابن ثابت حيث قال: "طريق الشعر طريق الفحول إذا أدخلته في باب الخير لان ،ألا

ترى أن حسان ابن ثابت كان فحلا في الجاهلية ،و لما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه و سلم و حمزة و جعفر رضوان الله عليهما و غيرهم لان شعره ، و طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس و زهير و النابغة من صفات الديار و الرحل ، و الهجاء و التشبيب بالنساء،و صفة الخمر و الخيل و الحروب و الافتخار ،فإذا أدخلته في باب الخير لان"[13] فمعيار التفوق عند النقاد في تلك الحقبة ،هو جملة الأغراض المطروقة وفق المنحى الشعري الذي اعتاد عليه الشعراء و ساروا على دربه،أمّا شعر الخير و الرثاء اعتبر من الشعر اللين الذي هو دون شعر الفحول.

هناك اتجاه آخر لم يقل بضعف الشعر في صدر الإسلام،بل قال بعدم ورود وجه للمقارنة بين العصرين،"حيث موقف الإسلام ، و الركود النسبي الذي عرفه الشعر في هذه الفترة بالقياس إلى ازدهاره في المرحلة السابقة ...و فكرة المقارنة بين الشّعر الجاهلي و الشّعر الإسلامي ،فالشّعر الجاهلي في عرف أصحاب هذه النظرية يمثل النموذج الأعلى الذي بلغته الفاعليّة الشّعريّة في تلك المرحلة ، و معنى ضعف الشّعر في المرحلة التالية ،هو أنّه لم يستطع أن يصل إلى المستوى الذي بلغه من قبل، و الحال أن مبدأ المقارنة غير وارد من وجهة ما ،إذ من غير المستصاغ بتاتا مقارنة العطاء الشعري في مرحلتين تاريخيتين تختلفان اختلافا جوهريا من حيث الطبيعة و الخصائص، و حتى من حيث المفهوم الشعري، لأنّ الشعر اتخذ بالفعل مفهوما جديدا في ظل الإسلام ، و خضع لتوجيه جديد أثر في مساره و تطوره ، و كانت له انعكاساته على مستقبله"[14] فالشعر في صدر الإسلام لم يكن الداعي إليه تلك القبليّة و العصبية بل حاول الشّعراء أن يوجهوا معانيهم الشّعرية نحو الدّين و الأخلاق و القيم التي استلهموها من الإسلام.

لقد أصبح للشعر مفهوما جديدا في ظل الإسلام ،ولم يعد تعبيرا عن قيم و تقاليد جاهلية متخلفة في أكثرها، و إنّما أصبح تعبيرا عن أهداف رسالة سماوية لم تنزل لهداية العرب وحدهم ،بل نزلت لهداية الناس كافة ، لا فرق فيها بين أبيض و أسود ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى،فلقد نقل الإسلام الشعر نقلة نوعية كبيرة ، أو أراد له التزاما بمبادئه و معاييره أن ينتقل هذه النقلة ، لقد أصبح الشّعر المطلوب في ظل الإسلام ما كان تعبيرا عن الحق و الخير و إنكارا للباطل و الشّر ، و ما عداه من ألوان الشّعر فمرفوض منكور"[15]

و الذين حاكموا شعر صدر الإسلام و نعتوه بالضعف و اللين اعتمدوا فنيّات النّموذج الشّعري الجاهلي،ولم يضعوا في حسبانهم ميلاد ظاهرة أدبية جديدة سيطرت على الشعر الإسلامي،حيث "اتجه الشعر الإسلامي إلى سهولة الخطاب، و عفوية الأداء و وضوح المعاني و دقتها مع الجمع بين الصدق الشعوري و الفني دون التنازل على أساسيات الفن الشّعري، و كان الشعر الجاهلي يجمع بين الجزالة و قوة المعاني و يقع في ألوان من المبالغة و الغموض و تزوير المشاعر،فظن الرواة أن ما حدث في الشّعر الإسلامي أنه لون من ألوان اللين و الضعف، لأنّهم حكموا من خلال ما ألفوا، و لم يتحروا رشدا في تفسير هذه الظاهرة ، لقد نسى الرواة و النقاد أنّ الإسلام أتى على الجاهلية فدثرها أثناء الانقلاب العقائدي الذي فعله، فسيطر على كل الأشياء و وجهها كما يريد ضمن منهاجه و هديه،فتمت له نقلة العرب من الجاهلية إلى الإسلام في جميع مناحي الحياة العقائدية و الفكرية و الشعورية و السلوكية و التّعبيرية و اللغوية "[16] فالظاهرة الشّعريّة الجديدة يجب أن تحاكم وفق معايير تتناسب معها ،أمّا أن تقارن بظاهرة سابقة لها سياقها الخاص فهذا نوع من اللاموضوعية النقدية،حيث النتاج الشعري في العصر الجاهلي كانت له خصائص و ظروف استخلصت لها معايير للجودة من رحم هذه التجربة ،التي صنعت لنفسها منحا شعريا خاصا بها، أمّا النّص الشعري في صدر الإسلام كان له منحا مختلفا عن التجربة الشعرية السابقة له،منحى يتلائم و تعاليم الدين الجديد.

4-النقد في صدر الإسلام

كانت إرهاصات النقد الأدبي عبارة عن محاولات تفاضل بين الشعراء وفق معايير انطباعية تأثرية بعيدة عن تفاصيل النّظرية النّقديّة التي تحتكم للمعايير الموضوعيّة،أما المحاولات النّقدية في صدر الإسلام أخذت منحى تجديديا ،و معيارا أخلاقيّا بحتا بالنظر إلى الوافد الجديد و هو النّص القرآني،فجاء النقد الأخلاقي محطة جديدة عرفتها الذائقة النّقديّة العربية في المفاضلة بين الشّعراء،فقد كان موقف الرسول على الله عليه الصلاة و السلام من الشّعر موفقا أخلاقيّا بحتا،قائلا: " إنّما الشعر كلام ما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق فلا خير فيه "[17]فالشعر كفن لم يعترض عليه الرسول عليه الصلاة و السلام ،"ولم يتحرج قط منه،ولم يكن بمستطيع أن يفعل،فالشّعر سلاح ماض من الأسلحة العربية لا يستغني عنه صاحب دعوة ، و هو كتاب الجاهلية و ديوان أخبارها ، و الجاهلية قريبة العهد

جدا ، و لا تزال قوية و جياشة،بالإضافة إلى أنّه صلى الله عليه و سلم فصيح يتذوق الكلام الجيد،و يخوض في الشّعر مع الوافدين إليه من الذين أسلموا، و يؤثر فيه ما لاءم دعوته، و أرضى مكارم الأخلاق"[18]

وقد عرض على النبي صلى الله عليه و سلم شعرا للنابغة الجعدي فقال لا يغضض الله فاك ، و بلغ من استحسانه لقصيدة "بانت سعاد" أن صفح عن كعب و أهداه بردته،فليس بدعا أن يتحدث النّاس في الشّعر في حضرته صلى الله عليه و سلم ، و ليس بالأمر الغريب أن يعجب بالشّعر العربي و هو عربي اللسان و صاحب بيان[19]،أمّا ما رفضه من الشّعر ما كان منافيّا لمكارم الأخلاق، حيث عرض عليه شعرا لامرئ القيس فقال:" هو قائد الشّعراء إلى النّار" و في موضع آخر قال: "حامل لوائهم إلى النار"[20]حيث كان الحكم على هذه النماذج بالرفض وإن كان صاحبها من الفحول لما تحمله من تعصب و قبلية و انفعالات تنافي الأخلاق.

حيث الشعر هنا فن و منهج للتعبير و طريقة للدفاع و الرد ،كما أنه أيضا سلاح قوي للحروب و "الإسلام لم يحارب الشعر و الفن لذاته كما يفهم من ظاهر القول ،إنّما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر و الفن، منهج الأهواء و الانفعالات التي لا ضابط لها ،فأمّا حين تستقر الروح على منهج الإسلام و تنضح بتأثراتها الإسلامية شعرا و فنا ، و تعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ، و لا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها و تدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا،أمّا حين يكون للروح منهجا ثابتا يهدف إلى غاية إسلامية ، و حين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام ، في ضوء الإسلام ،ثم تعبر عن هذا كله شعرا و فنا، فأما عن ذلك فالإسلام لا يكره الشعر و لا يحارب الفن"[21] في ذاته بل يحارب الفن الذي ينافي مكارم الأخلاق و مبادئ الحق،و يدفع بالآخر إلى ارتكاب المعاصي و إتباع الأهواء و مجانبة العقل من هجاء ماجن و غزل فاسق .

ورد في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني أن كعب ابن زهير هجا الرسول عليه الصلاة و السلام ،فقال صلى الله عليه و سلم"من رأى منكم زهيرا فليقتله" حيث أباح دمه لما رأى منه من سوء أخلاق و هجاء ،فقال له أخوه بجير أنجو بنفسك وما أراك فاعل، و قيل اختبأ الرجل و لم يظهر حتى رقت نفس النبي صلى الله عليه و سلم، فطلب بجير من كعب أن يطلب الصفح

من النبي صلى الله عليه و سلم،ففعل كعب فغفر له الرسول عليه الصلاة و السلام ، فأنشده كعب قصيدته المشهورة بانت سعاد، فأهداه عليه الصلاة و السلام بردته[22].

كان موقف الرسول عليه الصلاة و السلام من شعر المدح موقف الرفض لما يحوزه هذا اللون الشّعري من مغالاة و كذب من أجل تحقيق مصلحة شخصيّة على حساب مبادئ الأخلاق ،حيث قال صلى الله عليه و سلم "أحثوا في وجوه المداحين التراب" وذلك لأن الشاعر المداح يلبس الحق بالباطل و يغالي في كلامه.

أما من الأشعار الجاهلية التي استحسنها الرسول(ص) ما كانت تحمل معاني الأخلاق ،حيث عرض عليه الصلاة و السلام شعرا لأمية ابن الصلت :

الحمد لله ممسينا و مصبحنا بالخير صبحنا ربي و مسانا

فقال الرسول عليه الصلاة و السلام كاد أمية أن يسلم،فقد أسلم شعره و كفر قلبه[23]،و قد كان هذا الحكم من لدن الرسول عليه الصلاة و السلام لما حمله هذا البيت من معاني الحمد و الشكر و الخير،و نفحات إيمانية،كما استحسن عليه الصلاة و السلام أيضا قول طرفة ابن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا وتأتيك بالأخبار ما لم تزود

فقال صلى الله عليه و سلم هذا من كلام النبوة و قال "إنّ من البيان لسحرا"لما يحوزه البيان من تأثير على العقول قبل القلوب[24].

في مواطن عديدة نجد الرسول عليه الصلاة و السلام يستحسن و يعدل ما رأى فيه وجها للخير منها ،بيت كعب بن زهير من قصيدته بانت سعاد الذي قال فيه كعب:

إنّ الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

فقال صلى الله عليه و سلم ألا يصلح أن تقول: "سيف من سيوف الله مسلول"، فقال كعب:يصلح يا رسول الله،وعدل بيته إلى الآتي:

إنّ الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فقال الرسول عليه الصلاة و السلام "أحسنت يا كعب إن سيف الله لا يذود عن الحق"[25]

ورد في كتاب سيرة ابن هشام أنه خرج الرسول عليه الصلاة و السلام على كعب بن مالك و هو ينشد شعرا فلما رآه انقبض، قال صلى الله عليه و سلم ما كنت فيه؟قال كعب أنشد شعرا،قال له الرسول صلى الله عليه و سلم أنشد،فأنشد حتى جاء على قوله:

مجادلنا عن جذمنا كل فخمة مدربة فيها القواميس تلمع

فقال صلى الله عليه و سلم أي يصح أن تقول "عن ديننا"قال كعب يصح،فقال صلى الله عليه و سلم صغها فهي أحسن،ففرح كعب بهذه الملاحظة القيمة و فعل ما طلب منه، فقال صلى الله عليه و سلم"الجدال في سبيل الله و الدين خير منه في سبيل الأصل" رغبة في استئصال العصبية القبلية من قلب كعب ،و دفعه نحو التغني بمعاني الدين و الأخلاق[26].

فالرسول عليه الصلاة و السلام لم يرفض الشعر في ذاته ،بل بالعكس استحسن الشّعر الذي يحمل معاني الخير و الأخلاق و اعترف بأن للشّعر تأثيرا كبيرا على العقول، و قد استخدم شعراء لنشر تعاليم الإسلام و قد كان حسان بن ثابت شاعر الدعوة و صوتها.

5-المنهج الإسلامي في النقد الحديث و المعاصر

يعتمد المنهج النقدي الإسلامي الحديث و المعاصر على قواعد" شرعية و تاريخية تكتسي مقوماتها من القرآن الكريم و السنة المطهرة ،حيث يفيد الناقد الإسلامي المعاصر من هذين المصدرين في تحديد معالم منهجه النقدي ، و قد تحققت هذه الإفادة المنهجية من القرآن و الحديث منذ بداية المنهج الإسلامي الحديث في الأدب و النقد ،لدى سيد قطب في كتابه (في التاريخ فكرة و منهاج)ثم لدى شقيقه محمد قطب في كتابه(منهج الفن الإسلامي)ومن تابعهم من النقاد الإسلاميين بوسائل مختلفة كما في محاولة الدكتور نجيب الكيلاني تأسيس فهمه للرمز في الأدب على نظرات في الرمز القرآني و كشف بعض سماته"[27] حيث كانت البداية الفعلية للتأسيس لمنهج نقدي إسلامي مع سيد قطب الذي تمثّل القرآن و السنة في تحديد معالم هذا المنهج الجديد ،و من بعده محمد قطب و نجيب الكيلاني مع اختلاف في طريقة تطبيق و تحقيق هذا المنهج النقدي.

إنّ هذا الاختلاف في وجهات النظر في تطبيق منهج النقدي الإسلامي على النصوص الأدبية شعرا و نثرا أدى إلى اعتبار النص القرآني و الحديث الشريف نماذج للأدب الإسلامي من جهة ،من جهة ثانية اعتبار النّص المقدس نص أدبي، وهذا هو المحظور الذي وقع فيه الدارسون"في حين كان ينبغي أن تكون الدراسة الأدبية في حدود مراعاة الوضع الأصلي المقدس لكليهما،بحيث لا نحاكم أيا منهما بالمقاييس الأدبية ذات الوضع البشري،و إنّما تحكم هذه المقاييس بهما بالقدر الممكن، و بذا تكون آليات النظر الأدبي في النص المقدس نابعة من منطقه الخاص ، و هي مجرد آليات للنظر و ليست مقاييس، و من ثمة فإنّ دراسة النّص المقدس تتوقف عند حدّ الشرح و التفسير و الإدراك و إثبات الإعجاز دون إصدار الحكم و

التقييم ،لما يتطلبه ذلك من افتراض التفاوت بين المستويات الجمالية في بنى النص و ترددها بين القبح و الجمال و الرداءة و الجودة ، و هو أمر واقع في النتاج البشري، و غير واقع في النص المقدس"[28] ،حيث كان لزاما على الدارسين أن يؤخذوا في الحسبان قدسية النص القرآني من جهة ،و تستخلص المقاييس بحسب هذه خصوصية،من جهة ثانية ضرورة الحيطة في التعامل مع النص المقدس،ولا يعتمد نموذجا تقاس به باقي النصوص الأدبية ، فيوضع في كفة موازية مع النصوص البشرية.

أيضا من الأخطار التي وقع فيها أصحاب الدراسات الأدبية في تطبيق المنهج الإسلامي "إدراج القرآن الكريم ضمن التراث الإنساني في معالجة دراسية تتناول عناصر توظيف التراث الإنساني لدى شاعر معاصر،كما فعل جابر قميحة في دراسته لشعر أمل دنقل،حيث احتسب إفادة الشّاعر من النصوص القرآنية احتسبها ضمن التراث الإنساني دون أدنى تمييز بين النص المقدس و غيرها من النصوص التراثية"[29] في حين كان الأولى احتساب خصوصية النّص المقدس في الدراسة الأدبية ،و عدم الوقوع في خطر اعتماد النّص المقدس نموذجا للإبداع في الأدب الإسلامي،حيث كان لزاما "مراعاة وضعهما المقدس من حيث المصدر و الصياغة و أن تكون الدراسة من خلال منهج و مصطلحات تتفق مع طبيعة السياق و تراعي خصوصياته دون أن تخلط بينه و بين النتاج البشري"[30]

6-خاتمة:

نستخلص في نهاية هذا البحث حول الأدب الإسلامي في ميزان النقد الأدبي مجموعة من النتائج أهمها:

-أخذ مصطلح الأدب الإسلامي مجموعة من المرجعيات في تحديد ماهيته أهمها أن مضمونه يرتبط بمقومات دينية إسلامية،أو يصب في دائرة الأخلاق و العقيدة،كذلك هو الأدب الذي قيل في عصر صدر الإسلام و ارتبط بمقومات الدين الجديد.

-كان موقف الإسلام من الشعر موقفا موضوعيا بحتا،بحيث اعتبر خيره خير و ساقطه ساقط،ولم يرفض الإسلام الشعر في ذاته ،و إنّما رفض الشعر الحامل للضغائن و الأحقاد،والمزيف للحقائق في سبيل القبيلية المقيتة.

-اعتمد النقد الحديث و المعاصر المنهج الإسلامي في نقد النصوص و تثمينها إلا أن هذه الدراسات كانت محفوفة بخطر المساواة بين النصوص الأدبية من شعر و نثر و النص المقدس

،حيث اعتمدت الكثير من الدراسات على أن النموذج المثالي للنصوص الأدبية هو النص القرآني و الحديث الشريف دون مراعاة قدسية و خصوصية النص المقدس.

-على الرغم من هذه المزالق هناك دراسات اعتمدت المنهج الإسلامي في تقييم النصوص بطريقة صحيحة حذرة كانت معتمدة على منهج خاص وفق مصطلحات خاصة أيضا ،و طريقة علمية في تقييم النصوص دون المساس بقدسية المرجع المعتمد في الدراسة و هو النص القرآني الحديث الشريف.

الهوامش:

1. –ابن سلام الجمحي،طبقات فحول الشعراء،تح محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،القاهرة،1974.
2. - ابن قتيبة،الشعر و الشعراء،تح أحمد محمد شاكر،.دار المعارف،مصر،1966،ج 2/ص:653.
3. - استاذ بكلية اللغة العربية جامعة الرياض، وعميد شؤون المكتبات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
4. -ينظر:محمد بن حسن الزير،في مفهوم الأدب الإسلامي،مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،م12،ع1410،2هـ،ص:178.
5. - مجموعة مؤلفين،الموجز في الأدب العربي و تاريخه،دار المعارف، لبنان، 1962، ص:92.
6. -ينظر:محمد بن حسن الزير،في مفهوم الأدب الإسلامي، ص:181.
7. -سيد قطب،في التاريخ فكرة و منهج،دار الشروق بيروت،لبنان،ط5،ص:28.
8. –ينظر:المرجع السابق،ص:181.
9. -أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار الحكمة ،بيروت،د تا،ص:98-99.
10. -فهد العرابي الحارثي،تآخي الأدبي و الشرعي عند ابن عباس،مجلة الدارة ،العدد4،السنة18،ص:163.
11. -الجمحي،محمد ابن سلام،طبقات فحول الشعراء ،ج 1،ص:25.
12. -ابن خلدون،المقدمة،تحقيق علي عبد الواحد وافي ،القاهرة،1960،ص:677.
13. -المرزباني،أبو عبد الله،الموشح،تحقيق على محمد البجاوي،القاهرة،1965،ص:85.
14. -إدريس الناقوري ،قضية الإسلام في الشعر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1986،ط47،2.
15. -عودة الله منيع القيسي،تجارب في النقد الأدبي التطبيقي من منظور إسلامي،دار البشير ،عمان،الأردن1985،ص:23.
16. - عباس المناصرة،مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي،دار البشير،عمان،الأردن، 1997، ص:44
17. -ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،1955،ج1/ص:27.
18. طه إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب"من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري"،مكتبة الفيصلية،مكة،2004،ص:43.

19. -ينظر:المرجع نفسه، ص:43.

20. - ابن قتيبة،الشعر و الشعراء،ص:132.

21. -سيد قطب،في ظلال القرآن،دار إحياء الكتاب،بيروت، لبنان، 1978، ط6، ص:22-26.

22. -الأصفهاني،أبو فرج،الأغاني،.....،ص:3231.

23. -المصدر نفسه،ص:708.

24. –ينظر:ابن رشيق ،العمدة ،ج1،ص:28.

25. -ينظر:الأصفهاني،الأغاني،ص:3234.

26. -ينظر:ابن هشام السيرة النبوية،تحقبق مصطفى السقا و رفيقيه،دار إحياء التراث،بيروت،ط3،ج2/ص:564

27. -عبد الكريم أحمد عاصي المحمود،تأصيل المنهج الإسلامي في النقد الأدبي الحديث،ص:1.

28. المرجع نفسه،ص:1

29. المرجع نفسه،ص:1-2

30. -سيد عبد الرزاق،المنهج الإسلامي في النقد الأدبي الحديث، دار الفكر ،دمشق ،2002،ص:45.

المصادر و المراجع

1-الأصفهاني،أبو فرج،الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري،دار الشعب ،مصر،1979.

2-أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار الحكمة ،بيروت،د تا.

3- إدريس الناقوري ،قضية الإسلام في الشعر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1986،ط2.

4- ابن خلدون،المقدمة،تحقيق علي عبد الواحد وافي ،القاهرة،1960.

5- ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،1955،ج1.

6- ابن سلام الجمحي،طبقات فحول الشعراء،تح محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،القاهرة،1974.

7- سيد قطب،في ظلال القرآن،دار إحياء الكتاب،بيروت،لبنان،1978،ط6.

8- سيد قطب،في التاريخ فكرة و منهج،دار الشروق بيروت،لبنان،ط5.

9--سيد عبد الرزاق،المنهج الإسلامي في النقد الأدبي الحديث، دار الفكر ،دمشق ،2002.

10- طه إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب"من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري"،مكتبة الفيصلية،مكة،2004.

11- عباس المناصرة،مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي،دار البشير ،عمان،الأردن،1997.

12- عودة الله منيع القيسي،تجارب في النقد الأدبي التطبيقي من منظور إسلامي،دار البشير ،عمان،الأردن1985.

13- محمد بن حسن الزير،في مفهوم الأدب الإسلامي،مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،م12،ع1410،2هـ.

14- مجموعة مؤلفين،الموجز في الأدب العربي و تاريخه،دار المعارف،لبنان،1962.

15- المرزباني،أبو عبد الله،الموشح،تحقيق على محمد البجاوي،القاهرة،1965.

16- ابن قتيبة،الشعر و الشعراء،تح أحمد محمد شاكر،.دار المعارف،مصر،1966،ج 2.
17- فهد العرابي الحارثي،تآخي الأدبي و الشرعي عند ابن عباس،مجلة الدارة ،العدد4،السنة18.
18- ابن هشام السيرة النبوية،تحقبق مصطفى السقا و رفيقيه،دار إحياء التراث،بيروت،ط3،ج2.